سِلْسِلَةُ : وُصُولِ التّهَانِي بِتَفْرِيغِ أشْرِطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (3)

كَلِمَةٌ بعنوان

" وَصَايَا فِي سَبَبِ التَّمْكِين وَالاعْتِزَازِ بِدِينِ الإِسْلَامِ "

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

– حفظه الله تعالى –

المُدرِّس في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

(ألقاها يوم الخميس/ غُرة جمادى الأولى/ 1439هـ)

في مسجد بدري العتيبي – رحمه الله –

بالمدينة النبوية

(وهي كلمة موجهة للإخوة الذين وفدوا من جهورية فرنسا)

(نسخة مخرجة الأحاديث)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات

أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد .

فمرحباً، وأهلاً ، وسهلاً بأبنائنا وإخواننا الزائرين لنا، من جمهورية فرنسا في هذا اليوم ؛ يوم الخميس غُرة شهر جمادى الأولى، عام تسعة وثلاثين وأربعمئة وألف، من هجرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ، ومرحباً بغيرهم ممن قدموا ووفدوا علينا هذه الليلة لزيارتنا، سائلاً الله – جل وعلا – أن يكتب لهم الأجر ، وأن يجعل تزاورنا جميعاً فيه، ومحبتنا فيه، وتباذلنا فيه – سبحانه وتعالى- .

ونزولاً عند رغبتكم – معشر الإخوة الكرام والأبناء الكرام من فرنسا –، وطلبكم كلمةً في هذا المجلس **أقول** : إن الواجب علينا جميعاً أن نعتني أولاً بما خلقنا جل وعلا له ، وأرسل رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأنزل عليهم كتبه ، داعين إليه ومبينة هذه الكتب له : ألا وهو إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة، تحقيق التوحيد – معشر الأحبة –، وتعاهد الإنسان نفسه في هذا الباب.

ونحن نرى في هذه الأيام والمتأخرة وفي هذه الأوقات اشتغل كثير من الناس بما نزل بالمسلمين من النوازل ، إما بالحروب، فيما بين أهل الإسلام، أو من تسليطٍ لعدوهم عليهم، أو من فُرقةٍ بين أهل الإسلام، وسببه الرئيس هو عدم الاهتمام بهذا الشأن، إذ لو حُقق حقَّ التحقيق لَمَا رأينا هذا .

قال -جل وعلا- : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[الأعراف :96] الآية .

فلو أن أهل القرى آمنوا بالله حق الإيمان، وأقاموا بما يجب للرحمن من عبادته وحده لا شريك له ، وتعاهدوا أنفسهم في هذا الباب، وحققوا توحيد الخلّاق -سبحانه وتعالى – لفتح الله – جل وعلا-

عليهم بركاتٍ من السماء والأرض، ولكن لمَّا حصل ما حصل صار ما صار ، وسلّط الله – سبحانه وتعالى– علينا عدواً من سِوى أنفسنا، فأذاق الأمة الذل والهوان ، شرذمةٌ قليلة من شُذَّاذ الآفاق ، أحفاد القردة والخنازير، الذين ضُربت عليهم الذلة أينما ثُقِفوا، وباءوا بغضبٍ من الله – تبارك وتعالى– ، وضُربت عليهم المسكنة ، يتسلطون على أهل الإسلام ؛ يذيقونهم الذل والهوان في بلدهم بلد الإسلام ، **وأنتم ترون ما نزل بالمسجد الأقصى المبارك** ؛ قبلة المسلمين الأولى ، أرض الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ومسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، كيف سلّط الله – سبحانه وتعالى – عليها هذا العدو ، بماذا ؟ إنه والله بسبب عدم تحقيق التوحيد وإفراد الله جل وعلا بالعبادة ؛ فالقبور في ساحة المسجد الأقصى، في ساحة المسجد، في وسط المسجد، في الساحة الخارجية القبور فيه ، وليست منذ القِدَم، بل في العصر الحديث ، يحفر فيه ويدفن فيه في ساحاته ، هذا المسجد المبارك ، ناهيك عما نراه من وجود كثير من المنكرات، وأعظم هذه المنكرات على الإطلاق : تَشَبُّه أبناء المسلمين بأعداء الله من اليهود والنصارى، حتى كأنك إذا رأيت الواحد منهم لا تُفرّق بينه وبين اليهودي والنصراني في شكله، اللهم إلا إذا تكلّم ورأيته يذكر الله نحو ما يذكره أهل الإسلام ، وصلى – إن صلى – ونحو ذلك ، ونحن لا نعمم الحكم في أبناء فلسطين ، – معاذ الله –، فالخير باقٍ – والحمد لله – فيهم ، ولكن نقول : هذا أولاً .

وقد نزل أيضاً بأبناء المسلمين وبالمسلمين في كل مكان من أرجاء العالم الإسلامي، من تشبههم بأعداء الله الكفرة في لباسهم، ومظهرهم، وأخلاقهم، حتى إنك لا تعرف المسلم إلا بالاسم، أو إذا رأيته يصلي ، ونادراً ما يصلي، بل ومن أعظم من ذلك تسمع من بعضهم سبَّ الله، وسبَّ رسوله، وسبَّ الدّين – عياذاً بالله من ذلك –، وقد سمعتُ أنا شيئاً من هذا، ما يحتاج أحد يخبرني بذلك، وهذه مصيبة

عظيمة .

فإنَّ أعظم المنكرات بعد الشرك بالله -تبارك وتعالى- وإهمال التوحيد والدعوة إليه وتعليم الناس إياه ودعوتهم إلى التمسك به، أعظم شيء بعد ذلك : هو الانسلاخ من الأحكام الإسلامية والآداب الشرعية، والأخلاق الإسلامية المرضية، والتشبه بأعداء الله الكفرة في مظاهرهم، - عياذاً الله من ذلك-، وهذا سببه الانبهار بهم، والإعجاب بهم، وبما هم عليه من التطور والتقدم قديماً، أما اليوم فلا ، يقول ما هم عليه من الحرية ، وهذه حريةٌ خبيثةٌ ملعونة ،هي التفلُّت من دين الله - تبارك وتعالى - .

بل وصلت في بلاد الغرب التفلُّت من الآداب الانسانية كلها ، إلا القليل القليل ، فصاروا أشبه ما يكونون بالبهائم ، - عياذاً بالله من ذلك - .

فكيف يُمّكن للناس ويُنصَرون وهم على هذه الحال ؟

القبور في بلدان المسلمين تُعبَد من دون الله -جل وعلا- ، يُستغاث بها، وتُدعى من دون الله، وترجى من دون الله ، وينذر لها مع الله ، ويطاف بها ، ويُحلَف بالمقبورين فيها، ونحو ذلك، هذا في طول العالم الإسلامي وعرضه .

فكيف يراد لنا أن ننتصر على عدونا ؟ - معاذ الله - .

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : 41] .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور : 55] الآية .

فالاستخلاف في الأرض إنما هو لأهل الإيمان، ولأهل التوحيد والإخلاص لله - تبارك وتعالى -، فإذا

كان هؤلاء المقبورين يُدْعون من دون الله، ويُرجون من دون الله، ويستغاث بهم من دون الله، وينذر لهم مع الله، ويصار إلى قبورهم، ويطاف بها، ويُحلَف بها، ويستشفع بها فقد انتقض الإسلام الذي جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، والأنبياء من قبله –عليهم الصلاة والسلام– : ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [النساء : 165] .

هؤلاء المُبشّرون وهؤلاء المنذرون بماذا جاءوا ؟

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء :25] ،

﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل : 36]،

وكثيرٌ من الناس يزعم الإسلام ولكنه واقع في الشرك وهو لا يشعر، ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ [يوسف :106] .

فالواجب – معشر الإخوان – : أن نعتني بأنفسنا في هذا الجانب ، وألا تلهينا هذه المصايب عن أصل النصر والعز والتمكين ؛ ألا وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة ، ولا سيما من كان في بلاد الغرب مثلكم في فرنسا، وأنتم ترون التفلُّت حتى من دينهم المحرّف، حتى من دين النصرانية المُحرَّف هم متفلّتون منه ، ويسيرون على المنهج اللعين : اللادينية ، الذي هو العلمانية، وكنائسهم صارت مهجورة، والدليل على ذلك أنكم – ولله الحمد – ترون في بلاد الكفر بين الفينة والفينة يبيعون بعض هذه الكنائس لأهل الإسلام، فيشترونها ويُحوّلونها إلى مساجد، وهذا مما يسر – ولله الحمد– وهو من أعظم الأدلة لنا على أنهم خَواء، العمار الروحي عندهم لا شيء، فأرواحهم خالية ، قد عَمُرت باللادينية ، وحلّ محلها عند كثير منهم الإلحاد ، فلذلك انبثق عن هذين المذهبين الخبيثين الفسق والفجور بجميع أنواعه ، – عياذاً بالله من ذلك – ، فأنتم حينما تكونون في مثل هذه البلاد الواجب عليكم أن تقوموا بهذا فيما بينكم ،

وَيُذَكِّر بعضكم بعضاً، وتتذاكرون فيه؛ أعني توحيد الله – جل وعلا –، وإفراده – سبحانه وتعالى– بالعبادة، فإنَّ الله –جل وعلا – إنما أظهرنا عليهم أول ما أظهرنا باتباعنا لهذا الدين، وقيامنا به .

﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة : 239] .

﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران: 173-174] .

فلو عَمُرَ هذا الأمر الذي ذَكَرتْ في قلوب الناس أهل الإسلام والإيمان لظهروا على عدوهم ، ولكن لَمَّا غاب عن كثير منهم سلّط الله سبحانه وتعالى علينا عدونا ، انظروا العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً ، طولاً وعرضاً ، انظروا ما فيه من معاهد الشرك ومعالم الشرك ، وقَل من يجهر بالإنكار بين هؤلاء المسلمين ، هذه مصيبةٌ عظيمة ، هذه مصيبةٌ عظيمة ، نسأل الله العافية والسلامة .

والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا– عليه الصلاة والسلام – بذلك، وأخبرنا أنه لن يسلط علينا عدونا حتى يجعل الله بأسنا بيننا؛ فيقتل بعضنا بعضاً، ويسبي بعضنا بعضاً ، وهذا الحاصل ، تفككت الأمة ، والسبب الذي يجمعها تحاربوا فيه ، الذي يجمعها هو الذي وحّد من كان قبلنا ، ألا وهو الدين الخالص، الذي يجمع الله – سبحانه وتعالى – الناس عليه ، إخلاص التوحيد لله – سبحانه وتعالى – ، فلما افترقنا فيه، وأصبحوا يَنعون على أهل التوحيد الخالص وإفراد الله بالعبادة، ويَذُمُّونهم، ويلقِّبونهم بألقاب السوء، وينفِّرون منهم فتحوا الباب لأهل الشر ، الذين يحاربون هذا الدين، ويحاربون هذا التوحيد، ويزعمون أنهم على الإسلام ، وهم أبعد ما يكون عن الإسلام ، فلذلك وقع التناحر والتنافر ، والنتيجة سلّط الله – جل وعلا – العدو علينا ، **فأنتم ترون هذه الشرذمة القليلة اليهود ماذا يفعلون في إخواننا المسلمين في بلاد فلسطين** ، أرض الأنبياء ، أرض الرسالات ، ماذا يفعلون فيها ؟

ولكن نحن نعزّي أنفسنا وإخواننا : بأن وعد الله لا يُخلف، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنهم سيّذلُّون ويُغلَبون ويُهزمون، وأنهم مهمها عملوا، ومهما تناصروا، ومهما أنفقوا من المال؛ فإنهم سيُغلَبون ويُهزَمون، ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، ولكن ما يكون ذلك حتى يحصل تحقيق أعظم أسباب النصر : ألا وهو تحقيق التوحيد ، وإفراد الله -جل وعلا – العبادة .

فندعو إخواننا في بلاد الشام، وندعو طلبة العلم في بلاد الشام والأشياخ في بلاد الشام الذين مَنَّ الله عليهم جل وعلا بمعرفة التوحيد أن يقوموا ويَهُبُّوا لنصرة هذا التوحيد الذي قال الله في أهله : ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [محمد :7-8]،

﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران :126] ، -سبحانه وتعالى- .

﴿ **يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الروم:5] ،

﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾ [آل عمران :160] .

فالواجب علينا جميعاً أن ننصر الله – سبحانه وتعالى – في أنفسنا بالاستقامة على دينه وعلى توحيده الذي أرسل به رسوله، وأنزل عليه به كتابه ، – سبحانه وتعالى – .

ثم أوصيكم – معشر الأحبة – فيما بينكم أن تتذاكروا العلم ، وأن تتفقهوا في الدين ، هذه الوصية الثانية ، احرصوا على الفقه في الدين ؛ فإن الفقه في الدين هو نور البصائر .

" **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** " [1] .

﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [يونس :35] ،

" **إن الله سبحانه وتعالى وملائكته وحتى الحيتان في جوف البحر ليصلون على مُعلِّم الناس الخير** " [1] ،

---

[1] رواه البخاري برقم (71) ، ومسلم برقم (1037) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

فعليكم بتعليم الناس أحكام هذا الدين حتى يعرفوه، ويعرفوها، وخصوصاً فيما يجب على الأعيان : العلم العيني، الذي لا يمكن أن يُعذر الجهل به أحد، ألا وهو ما يقوم به دينه؛ من أمر التوحيد والعبادة لله – جل وعلا –، ثم ما يصح به دينه من الطهارة، والصلاة، وأحكام الحيض والنفاس ، وما يتعلق بذلك ، الصلاة ، أركانها، واجباتها، وشروطها، تُعَلَّم أركانها، وواجباتها، وشروطها، وسننها، وآدابها ، وهكذا الصوم ، ما يتعلق به ، معرفة ما ينقضه، ما يبطله ، ما يفسده ، ومعرفة ما يُنقِّص ثوابه ، والبعد عن ذلك كله، وهكذا الزكاة الواجبة على من رزقه الله مالاً ، وماذا يجب عليه في ماله ؛ إن كان من النقدين، وإن كان من الزروع والثمار، وإن كان من بهيمة الأنعام، يُعلَّم ذلك، وهكذا الحج على المستطيع، مَن وجب عليه الحج يتعلم ذلك، حتى يعبد الله على بصيرة، هذا هو العلم النافع، الذي يورث صاحبه العمل الصالح .

وليس المقصود في هذا أن تبدأ ثم تقول أنا بدأت أطلب العلم، لكن لا ، كثير من الناس يبدأ ولكن ينقطع، كتاب كتابين من كتب الفقه ثم ينقطع ، فيبقى ما يَعلَم من دين الله –جل وعلا– إلا المسائل القليلة ، ويزعم أنه طالب علم ، لا ، القليل الكامل الدائم خير من الكثير المنقطع .

واعلموا أن تعليم الناس الخلاف وطلبة العلم الخلاف في المسائل هذا مما يُشتِّتهم ، فخذوهم بمتن ، علِّموهم فيه، ثم بعد ذلك بيِّنوا لهم الراجح، أما تعطيهم المسائل الخلافية مباشرةً هذا يُشتِّت الناس ويقلل النفع ، قليل من يستفيد من هذا، يستفيد من هذا فقط الأذكياء، الحُفَّاظ، النُبهاء، أما العامة فلا ، **فأوصيكم – معشر الأحبة – أن تعتنوا الكتب الفقيهة** ، ما ساد من ساد من العلماء إلا بهذا ، أن تعتنوا بالمتون الفقيهة ، وهكذا أدلتها ، من كتب الأحكام أحاديث الأحكام المجردة ، اعتنوا بها ،

---

[1] رواه أبو داود في "سننه" برقم (3641) ، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود " (407/2) .

كالأربعين ، وكعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام ، هذه الثلاثة عُمَد ، اعتنوا بها والقراءة فيها ، واقرؤوا شروحها ، شروح كتب هذه الأحاديث ، أحاديث الأحكام ، ولكن مع ذلك لا بد من متنٍ فقهي يتفقه عليه الطالب ، إذا لم يُضبط بمتنٍ فقهي فلا فِقه عنده ، فِقهه ضعيف ، يبقى فِقهه ضعيف ، أتظنون أن هؤلاء العلماء الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه هكذا جاءوا ؟ كلهم كانوا على هذه الكتب ، ولكن العيب كل العيب هو التقليد ، إذا بان لك أن المسألة ضعيفة والقول ضعيف ومرجوح وأنت تنصره وتتعصب له ، أو لصاحب المذهب ، هذا لا يجوز لطالب العلم ، ولكن هذه الكتب القراءة فيها يضبط لكم المسائل – معشر الأحبة – ، فاعتنوا بها مثل عمدة الفقه للمبتدئين ؛ فإن الله ينفع لها ، إذا قرأتموها كما تقرؤون عمدة الحديث اقرأوا معها عمدة الفقه ، للحافظ الفقيه مُوَفَّق الدين ابن قدامة ، وهو على اسمه مُوَفَّق ، فإنَّ كتابه من أنفع الكتب ، وهو مختصر وليس بالمطول ، ويحتاج إليه طالب العلم– معشر الأحبة – فاعتنوا بهذا الكتاب ، وهكذا عمدة الحديث ، وهكذا البلوغ ، فهذه هي العلم ،

فالعلم معرفة الهدى بدليله . . . .ما ذاك والتقليد يستويانِ

والجهل داءٌ قاتلٌ ودواؤه . . . .أمران في التركيب متفقانِ

نصٌ من القرآن أومن سنة . . . . . وطبيبُ ذاك العالم الرباني

فدواء الجهل هو كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– ، والمداوي هو العالم الرباني ، الذي يُربِّي بصغار العلم قبل كباره ، ويخاطب الناس على قدر عقولهم، فيقسِّمهم على مستوياتهم ، سبحان الله الآن ، ينكرون على المشايخ الذين يتدرجون في هذا ، وأعظم الأدلة الظاهرة التي هي لهؤلاء المتخللين بألسنتهم قاهرة : هذه المدارس النظامية بين أيدينا، هل يعطون صاحب أولى ابتدائي وثانية ابتدائي وثالثة ابتدائي ورابعة ابتدائي وخامسة ابتدائي وسادسة ابتدائي يعطونه منهج الثانوي ؟ أسألكم ؟ لا ،

يعطونه ما يناسبه ، هل يُعطون صاحب الثانوي منهج أولى ابتدائي ؟ لا ، يعطونه ما يناسبه ، هل يعطون طالب الجامعة ما يناسب أولى ثانوي ؟ لا ، يعطونه ما يناسبه ، فإذا كنتم تُقرُّون بهذا في المدراس النظامية فلمَ تنكرونه على المشايخ في حلقهم وترتيبهم للناس في هذا الباب ؟ ويبغون هذه الفوضى التي ظهرت اليوم يبغون كل أحد يأخذ من الكتاب والسنة ، نعم ، كل أحد يأخذ من الكتاب والسنة لو كانوا مثل من كان سابقاً ، الذين فقهوا كتاب الله –جل وعلا – وعَلِموه ، وكان عندهم من الوسائل والآلات علوم الآلات التي تعينهم ، أما الآن الناس ما يفهم معنى الآية و معنى الحديث ، بل ما يفهم الكلمة في لغة العرب ! مثل هذا يقال يأخذ من الكتاب والسنة ! هذا مُقلِّد شاء أم أبى ، فرضه التقليد ، الذي قال الله فيه : ﴿ **فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ** ﴾ [النحل :43-44]

هذا مُقلِّد شاء أم أبى ، مقلد لمَن ؟ لمسؤوله ، للشيخ الذي يثق به .

والعجب كل العجب أن يراد أن الناس اليوم كلهم أن يكونون فقهاء بل مجتهدين ، يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة ، هذا جهل ، وليس بصحيح، هذا ليس بصحيح .

فالواجب علينا – معشر الأحبة – أن نؤصِّل الأصول ، فإن تمتين المتون قوة للمتون ، فالعلم لا يؤخذ جملة، ومن رامه جملة حرمه جملة ، وإنما يؤخذ بالتدريج .

اليوم شيءٌ وغداً مثلُهُ . . . . من نُخَبِ العلم التي تلتقط

يُحصِّل المرءُ بها حكمةً . . . . وإنما البحرُ اجتماع النقط

يأتيك أبو خمسة عشر سنة يريد أن يكون مثل أبو ستين سنة مباشرة .

ومن أعظم ما نراه اليوم من المنكرات : تطاول الأغمار على الكبار ، فيأتي الصغير لا يعرف قدره ، فلا يأتيك مستفتياً ، وإنما يأتيك متعنتا ، هذا يُحرم البركة ، هذا لا يمكن أن يَتعلَّم ، وكثيرٌ من الناشئة في

هذا الزمن ظهر فيهم هذا الداء ، وفشا فيهم ، فلذلك لم يستفيدوا ، سنوات طويلات ما استفاد شيئاً ، تراه كما يقال وكما يردد الشيخ العلامة الألباني رحمه الله : مكانك راوح ، يمشي في مكانه ما يتقدم ، يراوح بين رجليه ، يرفع هذه ، ويَنزِل هذه ، فما يمشي شبراً ، ولذلك هذا سببه الخطأ في طريقة التعليم الآن التي يسلكها كثير من الناس ، أو يطالب بها كثير من الناس – وللأسف – ، ويظنون أن العالم هو الذي يشقّق الكلام ويُكثر الكلام ، هذا غلطٌ كله .

فأوصيكم – معشر الأحبة – أن تعتنوا بالعلم ، وخصوصاً الأصل ، وهو ما يتعلق بالتوحيد ، ثم الفرع وهو ما يتعلق بالأحكام الشرعية .

ثم أوصيكم بعد ذلك – معشر الأحبة – أن تقرؤوا في كتب الأدب ، الآداب ، ما هو الأدب الذي هو بمعنى الشعر ، لا ، المراد بالأدب الأدب الشرعي ، ككتاب " الأدب المفرد " للبخاري ، والأدب في كتاب الجامع الصحيح ، والأدب في سنن أبي داود ، والأدب في جامع الترمذي ، و" الآداب " للبيهقي ، و" مكارم الأخلاق " لابن أبي الدنيا ، و" مكارم الأخلاق " للطبراني ، وهكذا ، هذه الكتب التي يتأدب بها أهل الإسلام ، فتأخذون منها أخلاق النبي –صلى الله عليه وسلم– ؛ مثل "كتاب آداب النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه " لأبي الشيخ الأصبهاني .

فتجدون فيها الآداب الإسلامية أدب النبي –صلى الله عليه وسلم– ، في كل الأبواب ، فنتخلّق به ، كما كان –عليه الصلاة والسلام– الذي نعته ربه بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : 4] .

فاعتنوا بالآداب ، فإن عنايتكم بالآداب والأخلاق يَحفظ لكم أنفسكم ، ويَحفظ لكم أبنائكم ، ويحفظ لكم صغاركم في بلاد الغرب، وخصوصاً وأنتم في فرنسا – أم العلمانية –، التي انطلقت منها إلى أوروبا العلمانية ، في بداية الثورة الكبرى التي كانت في عهد نابليون بونابرت ، فمن هنا انطلقت الثورة العلمانية ،

من فرنسا ، ولذلك يتفاخرون إلى الآن بأنهم أم الثورة ، ومنطلق الحرية في أوروبا ، ويتفاخرون بأن هذه البلد أنها انطلاقة التنوير في أوروبا ، بعدما كانت العصور الوسطى المظلمة قد خيّمت على أوروبا ، ويريدون بالتنوير هذا الذي ذكرته لكم ، وأنتم فقط لو تقرؤون شيئاً واحداً لعرفتم هذه الثورة ، لو تقرؤون ما يتعلق بالإليزيه ، وأنا أبنائي أخاطبهم أهل فرنسا ، يَعرفون ذلك ، لو يقرؤون سيرة الإليزيه في العصر الحديث ، وماذا فيهم من الخبث والفجور والدسائس ، والخيانات والخنا ، لأدركوا صدق مقالي ، وليس هذا بخافٍ علينا– ولله الحمد –، وإن كنا في بلاد العرب أو كما يقولون عنا في بلد البدو ، لكننا نعرف من أخبارهم ما لا يعرفها كثير منهم في تلك البلاد ، ولله الحمد ، فهذه البلاد التي أنتم فيها بلاد تفسُّخ وفجور وعهر، فكيف تحافظون على أنفسكم وأولادكم ذكوراً وإناثاً ؟ إلا بقراءة هذه الكتب ، كتب الأخلاق والآداب الاسلامية ، تتمسكون بها ، وتعلّمونها الناشئة ، فتحفظونهم من هؤلاء .

كما أوصيكم بأمرٍ رابع : ألا وهو معرفة الإنسان قدر نفسه ، فإن من عرف قدر نفسه لنفسه عرف الناس له قدره ، كيف ذلك ؟ هذا سؤال يَرد : كيف ذلك ؟

أقول : الجواب – وللأسف – بعض طلاب العلم يُحسن باباً أو بابين من أبواب العلم ، ويرجع إلى تلك البلاد ، فيريد أن يُنصِّب نفسه شيخ الإسلام فيها ، ويريد أن يُنصِّب نفسه علم الأعلام فيها ، فهذا هو البلاء ، لأنه حينئذٍ يرى أن لنفسه على إخوانه وجوب حق الطاعة أن يطيعوه ، وإن لم يكن ثَم أمير تجب طاعته مسلم ، لكن حطّ نفسه مقام العلماء الذين قال الله فيهم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [النساء : 59] على أحد التفسيرين أن المراد بأولى الأمر العلماء والأمراء ، فنزَّل نفسه منزلة العلماء ، ومن هنا يأتي البلاء والداء ، من ردّ عليه خطأه حاربه ، ومن أرشده جفاه ، ومن نبّهه حقّره وآذاه ، وهكذا ، فيحصل بين الناس بسبب ذلك التفرّق والتمزّق ، وإلا

لو عُرِف أن هذا طالب علم مبتدي ، أو طالب متوسط ، أو طالب علم منتهي ، وعَرَف ذلك هو في نفسه لأراح واستراح .

والآن قد فُتن الناس بسبب هذه الوسائل يا أحبتي ، فُتِنوا بسبب هذه الوسائل ، بالانترنت الذي انفتح على الناس ، طولاً عرضاً ، مشرقاً ومغرباً ، فيبحث الطالب عن المسألة ، ويأتيك كأنه هو ابن بَجْدتها ، وكأنه هو جذيلها المحكك ، وعُذيقها المُرجّب ، وكأنه الذي ابتكرها من عند نفسه ، وكأنه هو الذي نظر في الأدلة فوصل إلى هذا القول وإلى هذا الاجتهاد الذي وصل إلى هذا الحكم فيه ، وهذه بلية عظيمة ، ومصيبة عظيمة ، وهي بداية الهلاك ، والشر كله إنما دخل من هذا الباب .

فاحذروا – معشر الأحبة –، احذروا غاية الحذر، فإن هذه مصيبةٌ عظيمة انفتحت على الناس وعلينا في هذا الوقت ، ولن يُسَد بابها إلى الآن ، ومعظم الشرور جاءت منها ، واحد ما يحسن يقرأ سطرين حاط نفسه شيخ الاسلام العلّامة الهمام ، وواحد يقرأ سطراً واحداً أو نصف سطر يخطئ فيه أربع مرات ، هذا بالله مثله يفهم الأحكام فضلاً عن أن يستنبطها ؟ هذه هي المصيبة يا ناس .

وبلينا يا ناس بالكذب في هذا الوقت ، الشيخ العالم العلامة ال ال ال ، تأتي وتراه وإذا بك تتذكر:

مما يُزهّدني في أهل أندلسٍ . . . .أسماء معتضدٍ فيها ومعتمدِ

ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها . . .كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسدِ

قطو ، هر ، بِس ، بِس ، يظن نفسه أسد ، ينتفخ هذا ويحدرد بظهره ، يظن نفسه أنه احدودب بظهره فصار أسداً ، وهو قط لا يزال ، هذه مصيبة ، مصيبة عظيمة .

فيجب علينا أن نتواضع في هذا الباب ، وأن نعرف قدر أنفسنا ، أصبحت كلمة علّامة كأنك تشتري في سوق أبو ريالين ، لا ، وجاءنا أفجر من هذا ، يقال لأقوام : الإمام ، الله أكبر ! ما أكذبها من كلمة ،

شَرْشَرَ الله شدق من يقولها في هذا العصر على أقوام يطلقها لا يستحقون عُشْرَها ، الإمام فلان ، والإمام فلان ، هذا لا يجوز ، ولو سمعناه ما يجوز لنا أن نقره ، لو سمعناه من أقره على خطرٍ عظيم ، نعوذ بالله من ذلك ، كذب ، نفخٌ كاذب ، لفظ الإمام سهل ؟ لفظ الإمام على أحمد وأمثاله رضي الله عنهم ، ما في أحد في هذا الزمن يستحق لفظة الإمام ، يا ناس اتقوا الله في المسلمين ، اتقوا الله في أشياخ الاسلام ، فضلاً عن هؤلاء الأغمار ؛ تسمونهم بغير أسمائهم ، وتصفونهم بغير صفاتهم ، فهذا الذي فَتن كثير من الشباب ، في طول العالم الاسلامي وعرضه ، وهكذا في الغرب من باب أولى ، فترأّس هؤلاء وانتفخوا وهو ليسوا على شيء ،ويحسبون أنهم على شيء ، وليسوا على شيء في الحقيقة ، فابتعدوا كل البعد – معشر الأحبة – عن هذا .

وعليكم بمعرفة حقوق أهل العلم ، وعليكم بمعرفة من هو العالم أولاً ، فإذا عرفتم معنى العالم فقد هديتم إلى التعلم ، يقول الإمام مالك رضي الله تعالى عنه : (أدركتك سبعين في هذا المسجد كل واحد منهم لو أُمِّن على بيت مال المسلمين لكان أميناً ، لم أكتب عنهم ، حتى جاءنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري فابتدرناه لأنه كان يدري هذا الشأن ، أو قال من أهل هذا الشأن) [1] يعني الحديث .

ويقول : (ما قعدت حتى قيل لي أو سبعين عالم من علماء المدينة قالوا اقعد) وهكذا سفيان بن عيينة بمكة – رحمهم الله تعالى جميعاً – ، واليوم من حك راسه وإذا به العلّامة .

وليُعلم أنني أبرأ إلى الله – أنا الذي أمامكم – من أني أُقِر أحد يوصفني بالعلّامة ، أبرأ إلى الله من ذلك ،

---

[1] قال الإمام مالك رحمه الله : (لقد أدركتُ سبعين ممن يقول : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عند هذه الأساطين ، وأشار إلى مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، فما أخذتُ عنهم شيئاً ، وإنَّ أحدهم لو اؤْتمن على بيت مال لكان به أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقَدِم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه) ، انتهى من كتاب : الانتقاء في فضائل الائمة الثلاثة الفقهاء " .

فما كان خلف ظهري فلا أُسأل عنه، والله يشهد على ما في قلبي ، وأنني لا أُقِر ذلك من أحد، وإنما أنا محمد بن هادى ، مدرسٌ وكفى .

وأسأل الله –جل وعلا – أن يرزقني وإياكم الفقه في الين ، والبصيرة فيه .

كما أوصيكم – معشر الأحبة – أن تحرصوا على الناشئة الصغار ، الصغار الصغار ، تهتموا بهم في بلادكم في الغرب، في فرنسا ، عَلِموهم حفظ القرآن ، وهم صغار .

واحرصوا على عدم مخالطتهم لأولاد الكفار ، ذكوراً وإناثاً، احرصوا عليهم، احرصوا كل الحرص عليهم، فإن صغار اليوم هم ناشئة غد، وهم كبار بعد غد، وهم المدرِّسون بعد غدٍ ، احرصوا عليهم – معشر الأحبة –، احرصوا على أولادكم في فرنسا ، وفي الغرب عامة على الصغار الناشئة ، أما الذين قد شبُّوا عن الطوق قد جاءهم من هذا البلاء ما جاء فاحرصوا على دعوتهم ، وهدايتهم بقدر ما تستطيعون ، لكن احرصوا على الناشئة .

واحرصوا على النساء والذي أعنيه في هذا : أن ترتادوا بالنساء شوارع الفسق والفجور ، وتتسامحوا معهن في كثرة الولوج والخروج ، فإنهم سَيَروا في هذه الطرقات يروا في هذه المجامع ما يُكدِّر الخاطر ، ويمرض القلب من المنكرات ، وابن آدم ضعيف ، مهما كان .

فاحرصوا على أن يكون نسائكم نساء المسلمين ربّات بيوت ، كما قال الله في نساء نبيه : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ [الأحزاب : 33] ، فإن الخروج من البيوت لغير حاجة يؤدي إلى الفتنة فيهن وبهن ، تُفتَتَن المرأة ، وتَفتِن ، فاحرصوا – بقدر الإمكان – على أن تُوَعُّوا النساء هناك ، فإن النساء هُنَّ قاعدة الصلاح ، هُنَّ أمهات الأولاد ، هُنَّ أمهات النشء ذكوراً وإناثاً ،

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها . . . .أعدد شعباً طيّب الأعراقِ

فإذا لم تكن الأم صالحة فسد الجيل في صغره ، وإذا فسد في الصغر وشب وقد جف على الانحراف يصعب التغيير – إلا ما رحم الله – .

إن الغصون إذا عدلّتها اعتدلت . . . . . . وليس ينفعها التعديلُ في الكِبَرِ

أو التقويمُ في الكِبَرِ

العود إذا يبس انكسر ، لكن إذا كان طرياً رطباً ينثني ،

أنا كالخيزور –يعني الخيزران – صعبٌ كسره . . . . . .وهو لدنٌ كيفما شئتَ انفتل

فالصغير كالأغصان الأغصان الرطيبة الثمر يخرج فيها ،

أبنُيَ إنك والعزاءَ معاً . . . . بالأمس لَفَّ عليكما كَفَن

يا حسرة فارقتني فَنَنَا . . . .غضاً ولم يثمر لي الفننُ

يعني الغصن الرطيب ، فالثمرة إنما تأتي طيبة في هذا الغصن الرطيب ، فإذا اصلحتم الأولاد صغاراً أثمروا الثمرة الطيبة كباراً ، فاعتنوا بهم – معشر الأحبة –.

وخامساً : أن تعتنوا في بلدانكم بهؤلاء الناشئة في جانب الإعلام ، احرصوا عليهم في بيوتكم ، ألّا ينظروا إلى العلام الفاسد الماجن في فرنسا ، خاصة وفي الغرب عامة ، احرصوا عليهم في هذا الباب ، فإذا لم تتابعوهم وقعوا في حبائل الشبهات والشهوات ؛ أما الشبهات فأن يتخطّفهم أصحاب المذاهب الفاسدة ، والأفكار الفاسدة .

ونحن نرى وتسمعون أنتم وترون أيضاً : كم ذهب مع داعش من فرنسا ؟ .

أكبر بلدٍ أوروبيٍ غربيٍ ذهب مع هؤلاء الخوارج من فرنسا، حتى من النساء ، حرَفوهم بسبب هذه الوسائل ، ثم لمّا وقعوا في حبائلهم تندّم الكثير ، ولات ساعة مندم ، ودخلوا الصفحة السوداء ، عند

الحكومة في هذه البلاد ، وحَكَموا بهم جميعاً على أهل الاسلام ، ومن أراد منهم أن يتوب وهو صادق يبقى محل شك ، بسبب ماذا ؟ بسبب الإعلام أثّر فيهم ، وهكذا أيضاً الأطفال ، إذا تُركوا فإنهم كذلك ، وأما الفساد الأخلاقي فحدّث ولا حرجِ ، فاحرصوا عليهم – حفظكم الله – في هذا الباب ، وانتبهوا لهم ، وليكونوا محطَّ اعتنائكم .

وأسأل الله – سبحانه وتعالى– لي ولكم جميعاً التوفيق والهداية ، كما أسأله – سبحانه وتعالى– أن يعصمنا وإياكم من الغواية ، ومن مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين ، والبصيرة فيه ، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه ، إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسولنا ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين .